اسم المادة: المهيمن - الهادي - الحفيظ - الرب

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

Way2allah.com

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: المهيمن - الهادي - الحفيظ - الرب
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-151971.htm

المهيمن

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أهلًا ومرحبًا وتحية طيبة عاطرة، سلامًا يحمل كل إكرامٍ وتعظيمٍ لأهل إسلام وإيمان بربهم الكريم العظيم.
أيها الكرام؛
اسم فريد من أسماء الله الكريمة، عزيزٌ وجوده في القرآن، لم نجد له إلا آية واحدة في كتاب الله الكريم، في سياق تلك الأسماء الحسنى التي تهز القلب وتنفض البدن إجلالًا لربه في ختام سورة الحشر: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ" الحشر:٢٣. اسم ربنا المهيمن –سبحانه وتعالى– لم يَرِد إلا في هذا الموضع في كتاب الله الكريم، وهو اسمٌ فيه من العظمة والفخامة والجلالة ما يليق بربنا العظيم الكبير –سبحانه وتعالى–.

ما المهيمن؟ وما الهيمنة؟

قيل المهيمن مأخوذ في أصله في اللغة من المؤيمن تصغير مؤمن، وهو من أمن الشيء آمنه من خوف، وسيأتي لذلك مزيد تفصيل. فعندئذ سيكون المهيمن من يعطي الأمن لعباده، وهذا وارد في اللغة في إبدال الهمزة هاءً في بعض الكلمات.
والمعنى الآخر الذي عليه عدد من مفسري كتاب الله الكريم، وعلى رأسهم ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– قال: "المهيمن الشاهد على العباد بأعمالهم أي الرقيب على ما يفعلون وما يصدر عنهم" ففسر المهيمن بمعنى الحفيظ والشهيد والرقيب، فيكون هو بمعنى قوله –عز وجل– "وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" البروج:٩، وبمعنى قوله في الآية الكريمة: "إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" النساء:١، وبمعنى قوله: "أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ" الرعد:٣٣. فهو –عز وجل– رقيب حفيظ شهيد.

فتكون الهيمنة في هذا السياق هي الارتقاب، هي الحفظ الإلهي لكل مخلوقاته، وعلى عباده المكلفين على وجه الخصوص، فالله –عز وجل– مهيمن.

ويُدرَك هذا المعنى بصورةٍ أقرب في وصف الله –عز وجل– لكتابه الكريم: القرآن؛ بالهيمنة، واصفًا منزلة القرآن بين الكتب السماوية المنزّلة على الأنبياء السابقين –عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام–، يقول –سبحانه وتعالى–: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ" المائدة:٤٨.

هيمنة القرآن تلك التي جعلت له السطوة والحظوة والتقديم، وفي معناه: أنه حافظ على ما في تلك الكتب من أصول الإيمان والإقرار بالله وإرسال الرسل والاعتراف بهم أنبياءً كرامًا –عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام–.

الهيمنة معنىً عظيم يملأ قلوبنا لربنا –جل جلاله– بمعانٍ عظامٍ كثيرة.

يقول الغزالي –رحمه الله تعالى–: المُهَيْمِن: هذا الاسم لا يُطلق إلا على من استجمع صفاتٍ ثلاثة:

– أحدها: العلم التام بأحوال الشيء.

– وثانيها: القدرة التامة على تحصيل مصالح ذلك الشيء.

– وثالثها: المواظبة والاستمرار على تحصيل تلك المصالح.

يقول: بمجموع هذا الثلاثي يحصل وصف الهيمنة ويطلق اسم: المُهَيْمِن.

أيًّا كان، في هذه الإطلالة التي أردنا منها معنى اسم المُهَيْمِن، واستجلاء صفة الهيمنة التي وصف الله بها نفسه وسمَّى بها نفسه في كتابه الكريم، فإننا ينبغي أن نعترف أننا على عتباتٍ ثلاث نستظل فيها بظلال هيمنة ربنا –جل جلاله–:

– أولها: الثقة التامة واليقين الكبير، والعظمة التي تملأ أركان الجَنان، وتمتلئ بها الأبدان، وتفيض بها الجوارح بعظمة الله، إي والله؛ فإن لنا رَبًّا عظيما مهيمنًا –سبحانه–، هيمنته في حفظه، واستيلائه على خلقه، وسطوته على جميع ما في الكون، علويِّه وسفليّه، فالله المُهَيْمِن يحفظ الخلق، ويسوق أرزاقهم ويدبر شؤونهم.

– وأما ثاني العتبات: فالاستقواء بالله المُهَيْمِن، والركون إليه، أليس لنا ربٌّ كريمٌ مهيمنٌ عظيم؟ فإذا ما جئنا في مواقف الضعف والانكسار، أو الحاجة والافتقار، أو خوف الاضطهاد والإيذاء فلنركن إلى ربٍ عظيم سمَّى نفسه المُهَيْمِن –سبحانه وتعالى–، إننا نستقوي بربٍ مهيمنٍ على جميع ما خلق –جل في علاه–.

وأمة الإسلام كانت ولا تزال في حياتها عبر تاريخها الطويل إنما تركن إلى ربٍّ عظيمٍ جبارٍ مهيمنٍ –سبحانه وتعالى–، في ميادين اللقاء، وفي ساحات الجهاد، وفي مواقف الصراع، فإنها لا تزال تعيش احتماءً واستقواءً بربها المُهَيْمِن –جل جلاله–.

– وأما ثالث المعاني: التي نتفيؤها في ظلال اسم المُهَيْمِن ومعنى الهيمنة الإلهية فهي: أننا ما نزال نركن إليها في دعواتنا، نتوسل فيها بربنا العظيم –سبحانه وتعالى–، نستلهم من هذا المعنى أننا لا نخرج مثقال ذرةٍ عن تدبيره، عن خلقه، عن أمره ونهيه.

نعم، اثبت بقلبك وجنانك وببدنك وجوارحك على شريعة الله، فما أنت إلا مخلوقٌ تحت هيمنة الله، اجعل هذا سلاحًا تتقوى به على عدوك ونفسك وشيطانك والهوى، أنك إنما تتعبد لرب عظيم سمَّى نفسه بالمُهَيْمِن –سبحانه وتعالى–.

في كنف الهيمنة الإلهية نعيش عِزًّا مهما ضاقت بنا سبل الحياة، نعيش غنًى وسعةً وطيب عيشٍ مهما خلَت من أيدينا أسباب المعاش، نعيش في ظلال الهيمنة أملًا كبيرًا بربنا وحسنَ ظنٍّ بكرمه وعطائه، وفي الآخرة وعدًا كريمًا ما زالت النفوس معلقة، فإن الرب المُهَيْمِن وَعَدَ وَوَعْدُهُ حق، وهيَّأ لعباده من الأسباب وفتح لهم من الأبواب.

فثِقوا بالمُهَيْمِن، واعتزوا بالمُهَيْمِن، وتوسَّلوا بالمُهَيْمِن، واركنوا إلى طاعته واستقيموا على شرعته.

أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله

الهادي

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأهلا ومرحبا بكم، طابت أوقاتكم وأسعد الله أيامكم

أحبتنا الكرام،

اسم ربنا –سبحانه وتعالى– الهادي؛ من الأسماء التي نشعر بدفئها، ونعيش في كنف هذا الاسم الكريم، معاني عظيمة جليلة هي صلب حياتنا التي خلقنا عليها في هذه الدار، وعلى دربها مازلنا نسلك طريقًا إلى دار القرار، "وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً" الفرقان:٣١ قالها الله –عز وجل– لنبينا –صلى الله عليه وسلم–: أي وكفى يا محمد بربك هاديًا يهديك الحق، ويبصرك الرشد. إذًا هي الهداية؛ بمعنى الدلالة والبيان، فالله –عز وجل– هاد عباده وهدايته لخلقه هدايتان:

أما الهداية الأعم فالتي تشمل كل إنسان؛ مؤمنٍ وكافر. فالله قد هدى الجميع، هداهم إلى ما يصلح حياتهم، وما ينتفعون به في معاشهم، هداهم إلى كسب أرزاقهم، والعناية بصحتهم، هداهم إلى أمور المعاش من زواج وإنجاب أولاد وتربية بنين وبنات، هي هداية عامة مطلقة جعلها الله –تعالى– لكل خلقه، ولولاها ما استقامت حياة ولا طاب عيش. بل هذه الهداية تشمل خلق الله من سوى البشر، فقد هدى الله –عز وجل– الطير والسباع والوحش والحيتان في البحار والحشرات والديدان والأفاعي، كل ذلك مهدي بهداية الله "الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى" الأعلى٢:٣، قالها موسى –عليه السلام– مخاطبًا فرعون: "قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" طه:٥٠.

فهذه هداية عظيمة لا يستغني عنها أحدٌ من خلق الله قط، فالله –عز وجل– هادٍ عباده، هادٍ خلقه إلى كل شيء يُصلح شئونهم، إلى ما تستمر به حياتهم، هي هداية أحوج ما يكون إليها الخلق، ولولا ذلك لانغلقت في وجوههم سبل الحياة.

الهداية الأخرى؛ الأخص بنا، الأليق بنا، التي نحن إليها أحوج وإليها أشد طلبًا، وبها أكثر استمساكًا، هي هدايةٌ أخص، هداية التوفيق، الدلالة على الحق، الاستمساك بالصواب والصراط المستقيم، وأعظمه وأولى مراتبه هي معرفة الله، هذه أم الهدايات ورأسها وأسها ومنطلقها الأكبر وبوابتها الأعظم.

لا هداية تبدأ قبل معرفة الله –سبحانه–، والدلالة إلى شأنه وصراطه، ومعرفة حقه –سبحانه عز وجل– على خلقه، هذا منبع الهداية وأصلها، وعنه تتفرع كل وجوه الهدايات، التي جعلها الله –عز وجل– طريقًا إلى هذه الهداية الكبرى والعظمى.

أيها الكرام؛

الهداية الخاصة تلك التي مرت الإشارة إليها آنفًا هي المقصودة في قوله –سبحانه–: "وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" الحج:٥٤. أجل؛ هي الهداية إلى الحق التي مازال أهل الإيمان يسألونها ربهم في كل صلاة وهم يقولون: "اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ" الفاتحة٦:٧.

نعم، أعظم مطلوبٍ يسأله العباد ربهم في كل صلاة، بل في كل ركعة من ركعاتها، أن يهديهم الهادي إلى صراطه المستقيم، فيثبت المهتدون ويزدادون هدى، ويهتدي الحائرون ويعودون إلى الرشد ويفيقون من الغي والضلال؛ "رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا" آل عمران:٨، جاء في أدعية القرآن وفي أدعية السنة النبوية يقول –صلى الله عليه وآله وسلم– وهو يفتتح قيامه في الليل: "اللَّهمَّ ربَّ جَبرائيلَ، وميكائيلَ، وإسرافيلَ،

فاطرَ السَّمواتِ والأرضَ، عالِمَ الغيبِ والشَّهادَةَ، أنتَ تحكمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلِفون، اهدِني لما اختُلفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنِك، إنَّكَ تَهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ"[1].

أمة الهداية أمة الإسلام أحبتنا الكرام؛ إذ نسأل الله الهادي أن يهدينا ويهدي أولادنا ويهدي إخوتنا وأحبابنا وجيراننا والمسلمين أجمعين، فإنما نسأله مطلبًا عظيمًا كريمًا، لا تستكثروه في الطلب والدعاء، ولا تملوا من سؤاله ربكم صبح مساء، إنها أعظم مطلوب والله، فاستكثروا منها في صلواتكم في أدعيتكم، سلوه الهداية لأنه الهادي –جل في علاه–.

الهادي يثبتنا على الحق، ولا تزيغ بنا الأقدام، ولا تنزلق بنا في مهاوي البدع والشرك والضلال، الله الهادي ولا هداية إلا بيده –سبحانه–. عندما نسأله الهداية فإنما نطلب أن يحفظ علينا ديننا وإسلامنا. عندما نسأل ربنا الهادي تمام الهداية وأوفرها، فإنما نرجوه –جل جلاله– أن نكون من الهداة المهتدين، وأن تفيض حياتنا هدىً على من حولنا، فيهتدي بنا الأقارب والأباعد، يهتدي بسلوكنا وأخلاقنا كل أحد.

اسألوا ربكم الهداية في العقائد، واسألوه الهداية في الأخلاق والسلوك، وفي أدعية المصطفى –صلى الله عليه وسلم–: "واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنِّي سيِّئها، لا يصرف عنِّي سيِّئها إلا أنت"[2]

الله الهادي يهدينا ويهدي خلقه، "وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" يونس:٢٥، الهداية مراتب، وأعظم المهتدين هدىً من أصابوا المرتبة العليا فيها، جعلنا الله وإياكم من أربابها، ورزقنا وإياكم الهداية إلى صراطه المستقيم، وثبتنا وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه، وحشرنا وإياكم في زمرة الهادي المصطفى –صلى الله عليه وآله وسلم–.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[1] أخرجه مسلم

[2] رواه مسلم

الحفيظ

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أوقاتكم بالمسرات، وعَمَرَ قلوبنا وقلوبكم بالطاعات والمرضات.
أحبتنا الكرام؛
في كنف أسماء ربنا العظيم –سبحانه وتعالى–، نتفيأ ظلالًا ملؤها المعاني التي تغمر القلوب أنسًا بربنا، وإجلالًا لربنا، وحبًا لربنا –سبحانه وتعالى–، ويزداد هذا المعنى كلما ازدادت تلك الأسماء بما تحملها من معانٍ قربًا في لطفٍ وحفاوةٍ وعظيم فضلٍ ومنٍّ وعطاء.

اسم ربنا –سبحانه وتعالى– الحفيظ هو أحد تلك الأسماء، التي تغمرنا بفضل ربنا –جل في علاه–، والتي تشعرنا أن لنا ربًا عظيمًا كريمًا، وإنما نحن في كنف فضله وعطاياه في غاية العجز والفقر والضعف، وأتم وجوه الاحتياج إلى ربٍ غنيٍ كريمٍ حميد، إنه ربنا الحفيظ. "وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ" سبأ:٢١، "إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ" هود:٥٧.
آيتان في كتاب الله الكريم ثالثتهما قول الله –سبحانه–: "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ" الشورى:٦، ربنا حفيظ. أي حفظٍ هو؟ حفيظٌ في غاية حفظه لعباده، وصونهم عن كل ما يتلفهم أو يفسدهم أو يضيع عليهم من أحوالهم.
حفظُ أبدانٍ، حفظُ قلوبٍ، حفظ جوارح، حفظ محسوسات، حفظ معنويات، فربنا الحفيظ –سبحانه وتعالى–.
وجوه الحفظ التي تغشانا من ربنا الحفيظ لا عد لها ولا حصر، ربما تبادر إلى الأذهان للتو، إن حفظ ربنا ذاك الذي يغشانا على فرشنا ونحن نيام، فيحفظنا ربنا من فوق سبع سماوات، ويحفظ أطفالنا الصغار من الأمراض والشرور والآفات، ويحفظ ما يغيب عن أعيننا من كل غائبٍ عزيزٍ وحبيبٍ وقريب، فتنزل عليه ألطاف ربنا فيحفظه ذات اليمين وذات الشمال.

يتبادر إلى الأذهان حفظ ربنا –سبحانه وتعالى– لأحدنا عندما أوشك وكان على شفا هلكةٍ في مصيبةٍ أو كارثةٍ أو حادثةٍ أليمة، فيحفظه ربه فينجيه، حفظ ربنا –سبحانه– نستشعره في كثيرٍ من المواقف التي ترصدها الشاشات وتنقلها العدسات، في مواقف يؤمن كل من يشهدها ويقف عليها ويراها أنه لولا حفظ الله لأطبقت عليه المصائب، ولكان تلفًا ولكان في حتف أنفه أقرب إليه من أي شيء سواه. كل ذلك صحيح، لكنه لا يعدو إلا أن يكون وجهًا من وجوه حفظ الله –عز وجل– لخلقه.
ذاك الحفظ العام يا كرام، حفظ الله لخلقه من الإنس الجان، حفظ الله –عز وجل– للبهائم، للوحوش والسباع، للطيور والحشرات، حفظ الله للصغير والكبير، حفظ الله لعباده المؤمن والكافر والبر والفاجر، الكل في حفظ الله –جل في علاه–، فإنه يحفظ لهم أبدانهم، يحفظ لهم صحتهم وعافيتهم، يحفظهم من الشرور والآفات، فهم يسلمون بحفظ الله –سبحانه وتعالى–.

وأما الحفظ الآخر، فهو الحفظ الذي يخص الله –تعالى– به أهل إيمانه، بأن يزيدهم إيمانًا ويحفظهم من كل ما يسوءهم ويكرهون، يحفظهم من شر الأعداء، يحفظهم –سبحانه وتعالى– وهم يتعوذون به "مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" الفلق٢:٥، فلا حافظ إلا الحفيظ –سبحانه وتعالى–.

يحفظ أهل الإيمان عندما يرفعون أيديهم يسألون ربهم أن يحفظ عليهم أنفسهم، أموالهم، أبدانهم، أولادهم، أملاكهم، ويستودعونها في حفظ الله –عز وجل–، وهو خير الحافظين، تبارك ربي ما أعظمه.

إما أن حفظ ربنا –سبحانه وتعالى–، سواءٌ كان الحفظ العام لكل خلقه أو الحفظ الخاص لأهل الإيمان به وطاعته، فإنه نوعان جليلان أحدهما أعظم وألطف من الآخر:

أما الأول: فحفظ الأبدان، يحفظ –عز وجل– عباده من آفةٍ ومرضٍ وحسدٍ وسحرٍ وكربةٍ ومصيبة، لكن الآخر وهو ألطف منه وأعظم في الميزان: حفظ القلوب، أن تضل أو تزل، حفظ القلوب أن تتجرأ على معصية الله، حفظ تلك المضغة التي تسكن خلف الصدور أن تحيد عن معرفتها بالله، أو تتجرأ على محارم الله، متى شعرنا يا كرام أن أحدنا إذا عصمه الله –عز وجل– عن زلل، ومعصيةٍ وخطيئةٍ أو مقارفة فاحشةٍ وارتكاب منكر، فإنما هو بحفظ ربه الحفيظ ولولاه لهلك، لزل ولغرق في مستنقعات الرذيلة؟

هل متى أبصرنا يا كرام أنه عندما تتخطف الشهوات أناسًا من حولنا، ويقع كثيرون في فخاخ إبليس، ويقعون صرعى للشهوات هلكى للملذات، ونحن نعبر تلك البحار بمأمنٍ ومنجى. متى شعرنا أننا نعيش وجهًا من وجوه حفظ الله لنا؟!

أحبتي الكرام حفظ ربنا الحفيظ –سبحانه وتعالى– يحوطنا؛ من بين أيدينا ومن خلفنا، ونحن نستلهم في دعواتنا أن يحفظنا الله، هاكموها وصيةً من المصطفى الحبيب –صلى الله عليه وسلم– إذا ما أردنا أن ننعم بقدرٍ أوفر من حفظ الله لنا، هي كلمتان، "احفظِ اللهَ يَحفظْك"[3] ، إن أردنا أن نحوز قدرًا أعظم من حفظ الله لنا، فلا طريق أقرب من حفظنا لربنا.

ولقائلٍ إن يقول فكيف نحفظ الله وهو الحفيظ –سبحانه–؟ نحفظه فيما أمرنا بحفظه، حافظوا على الصلوات، نحفظه في قوله: "وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ" المؤمنون:٥، نحفظه بقوله: "وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ" المائدة:٨٩، وسائر ما أمرنا الله –تعالى– بحفظه، فمن حفظ الله حفظه الله.

وتأملوا معي في الختام؛ مقولة نبي الله يعقوب –عليه السلام–، إذ أتاه بنوه يطلبون أن يأخذوا أخا يوسف وهم يقولون: "فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" يوسف:٦٣، لقد وعدوه بحفظٍ، وجرب حفظًا ما أمنهم فيه فغاب عن منظريه يوسف –عليه السلام–، وللتو قال –عليه الصلاة والسلام–: "قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ"، ولكن ماذا قال بعدها: "فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" يوسف:٦٤.

فلنحفظ أنفسنا بحفظ الله لنا، والله –عز وجل– يحفظنا وإياكم والمسلمين أجمعين بحفظه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[3] أخرجه الترمذي وأحمد

الرب

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
طابت أوقاتكم وأسعد الله أيامكم وعمرها بفضله وكرمه ومنته.
أيها الأحبة الكرام؛ ونحن مازلنا نتفيأ في ظلال أسماء ربنا الكبير المتعال –سبحانه وتعالى–، نتفيأ من عظيم معانيها ما يزيدنا إيمانًا، ومن جميل دلالاتها ما يزيدنا منه قربًا، ومن لذيذ ما يكتنفها من المعاني والحكم والأحكام ما يقوي في طريق العبودية لله –عز وجل– سلوكنا، ويثبت أقدامنا، ويرقى بنا في أعلى درجات عباده الصالحين، فإن واحدًا من الأسماء الإلهية الكريمة، التي جاءت كثيرة وفيرة في كتاب الله الكريم تجاوزت في تعدادها تسعمائة مرة في القرآن؛ إنه اسم الرب الذي عدَّه عدد من أهل العلم في عداد أسماء الله الحسنى.

فإن الرب في اللغة؛ بمعنى الصاحب والسيد، والمالك المدبر، والمصلح للشيء القائم عليه، ومن هنا يقال في اللغة مضافًا إلى شيء يمتلكه صاحبه كرب الدار، والمرأة ربة المنزل. وقد قال عبد المطلب لما جاء أبرهة بالفيلة إلى مكة: أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه.
الرب ها هنا لغة بمعنى السيد، لا يستشكل معها قول الله –عز وجل– في سورة يوسف –عليه السلام–: "قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" يوسف:٥٠، الرب في هذه الآية في سياق قصة يوسف –عليه السلام– هو عزيز مصر، وأطلق عليه الرب بمعنى السيد والمالك والعظيم الذي ترجع إليه أمور البلاد.

أيها الكرام؛ ربنا –سبحانه وتعالى– سمى نفسه الرب، وذكر نفسه باسم الرب في مرات كثيرة، مئات المرات في كتاب الله الكريم. يأتي الرب في القرآن مضافًا إلى شيء من خلقه، ويأتي هكذا مفردًا. ولا يجوز إطلاق لفظة الرب مطلقة إلا على الله "بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ" سبأ:١٥، فإن الرب هكذا مطلقًا هو الله –جل جلاله–، وإذا أُرِيدَ به بعض خلقه بوصف الربوبية، فلابد من الإضافة إلى مملوك محدود زمانًا ومكانًا.
ربنا الله، خالقنا، ومالكنا، ورازقنا، والمنعم علينا –سبحانه وتعالى–.
جاءت لفظة الرب في القرآنِ مضافة إلى كثير من مخلوقاته –سبحانه وتعالى–، رب الملائكة ورب الناس ورب العالمين ورب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ومثل قوله –سبحانه وتعالى– في كثير من أوصاف الربوبية المضافة إلى بعض مخلوقاته مثل: رب المشارق والمغارب، وهكذا. نجدها تضاف إلى ألوان وألوان من خلقه –سبحانه–، فهو –عز وجل– رب كل شيء، وقد جاء في كتاب الله الكريم: "قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ" الأنعام:١٦٤.

أحبتي الكرام؛
هذا الاسم الكريم يضيف إلى القلوب أنسًا بربها واقترابًا ودفئًا، فالله –عز وجل– يمجد بهذا الاسم، ويُدعى بهذا الاسم، ويحمد ويثنى عليه بهذا الاسم، وفي كثير من أدعية القرآن تأتي لفظة الرب في صدر تلك الأدعية القرآنية الكثيرة "رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ" البقرة:٢٨٦.

هذا الاسم الكريم يربطنا بأصل من أصول عقيدتنا معشر المسلمين هو توحيد الربوبية لله، والمراد به أن نعتقد اعتقادًا جازمًا لا شك فيه بتفرد الله –جل جلاله– بأفعاله في خلقه، خلقهم وحده، وتفرد برزقهم، وتدبير معاشهم، فالأمر بيده والكون كونه، والخلق خلقه، والعبد عبده – سبحانه وبحمده–، هو الرب –جل جلاله–، لا ينازعه في ربوبيته أحد، ولما طغى بعض جبابرة البشر قال فرعون: "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" النازعات:٢٤، فلما بلغ هذا العتو جاء العقاب "فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى" النازعات٢٥:٢٦.

بعيدًا عن فرعون وعقيدة الكفر ومنازعة الله في ربوبيته، فإننا معشر المسلمين في ظلال اسم الرب –سبحانه وتعالى– نشعر بركونٍ إلى خالق عظيم، رازق كريم، مدبر بيده مقاليد السماوات والأرض، وعنده خزائن كل شيء، فإذا ما دعا أحدنا فقال يا رب فإنه أفضى بقلبه وقالبه، بظاهره وباطنه، بعلانيته وسره وجهره، إلى هذا الخالق العظيم –جل في علاه–، ليسأله أو ليتمدحه أو ليثني عليه أو ليطرق بابه أو ليتملق إليه بما يحب –جل جلاله–.

هو ربنا، ورب كل شيء ومليكه، رب السماوات والأرض، رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل. هكذا كان يتلذذ –صلى الله عليه وسلم–، إذا قام يدعو في جوف الليل "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، ربنا ورب كل شيء ومليكه، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان" يشعر –عليه الصلاة والسلام– بسرورٍ بالغ، ولذةٍ عارمة، وهو يتمدح الله بلفظ الرب، وهو يركن إلى خالقه باسم الرب، وهكذا علمَّنا أن نكون أكثر قربًا من ربنا ونحن ندعوه، ونسأله ونرجوه، نعلن عبوديتنا قائلين يا رب إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك. ما أعظمه من ربٍ كريمٍ خالقٍ رازق.

الرب –سبحانه وتعالى– الذي يحوينا بفضله، ويغزونا بنعمه، ويتفضل علينا –جل جلاله–. هذا الاسم الكريم تنتظم في جميع ما تتعلق بأوصافه الحسنى وصفاته العلى لأن الرب –عز وجل– اسم يحوي الأفعال التي تفرد بها الخالق –سبحانه وتعالى–.

يا كرام؛ حسب أحدنا أن يعيش وملء شعوره السعادة والغبطة أن له ربًا عظيمًا كريمًا، هو عبدٌ ذليل له على حد قول القائل:

ومما زادني شرفًا وتيهًا وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن سَيَّرت أحمد لي نبيا

صلى الله ربي وسلم وبارك عليه. ألقاكم في حلقة أخرى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته